

وحدانية القلب التي للمحبة فلتتأصل فينا

تعليم خطير وغريب بدأ ينتشر في الكنيسة الأرثوذكسية ويتلخص هذا التعليم في الآتي:

- هناك فرق بين وحدانية العقيدة ووحيدانية الحب
- وحدانية العقيدة ستأخذ سنين طويلة وربما لن نصل إليها لذا لنحيا وحدانية الحب كما نصلي في القداس الإلهي "وحدانية القلب التي للمحبة فلتتأصل فينا"
- الكتاب المقدس نادي بوحيدانية الحب ووحيدانية التنوع (١ كو ١٢) ووحيدانية الخضوع.
- وحدانية التنوع هي وحدانية تنوع العقيدة
- الوحدانية لن تحدث إذا أردنا إزالة الفروق العقائدية أولاً لكن لنحيا وحدانية الحب وهنا ستزول الفروق والحواجز العقائدية
- يمكننا أن نحيا الوحدانية بينما الأرثوذكسي هو أرثوذكسي والبروتستانت هو بروتستانت والكاثوليكي هو كاثوليكي.
- كل شخص من أي طائفة يتحد مع الله وفي الله سنتحد كلنا معنا.
- هذه الثلاثة طوائف "الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية" هي صورة للثالوث القدوس وكما أن الثالوث واحد هكذا هذه الطوائف الثلاثة واحد "وحدة حقيقية وليست وحدة شكلية من أجل الصور والتلفزيون" ولن نستطيع إعلان إيماننا بالثالوث ولن نفهمه إن لم نؤمن بوحدة الثلاثة طوائف وحدانية المحبة.
- الذي يؤمن بوحيدانية تنوع العقيدة هو من الله أما الذي لا يؤمن بوحيدانية تنوع العقيدة هو متعصب أعى ليس من الله بل من إبليس

أليس هذا هو فكر اللاطائفية البغيض. إن خطورة هذا التعليم أنه يقدم السم في العسل فالكلام عن الوحدانية وطرح روح التعصب الأعى كلام جميل مثل العسل ولكن رفض العقيدة السليمة هو السم المدسوس في العسل.

ألم يقل معلمنا بولس الرسول "إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَتَقَلَّبُونَ هَكَذَا سَرِيعاً عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَىٰ إِنْجِيلٍ آخَرَ. لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِمُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ. وَلَكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلَائِكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمًا». كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الْآنَ أَيُّضاً: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمًا». أَفَأَسْتَعِظُ الْآنَ النَّاسَ أَمْ اللَّهُ؟ أَمْ أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟ فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ". (غلاطية ١: ٦-١٠).

وأيضاً قال معلمنا بولس الرسول "وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ تُلَاحِظُوا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الشَّقَاقَاتِ وَالْعَثَرَاتِ، خِلَافاً لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ. لِأَنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ لَا يَخْدِمُونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ بَلْ بِطُوبَتِهِمْ. وَبِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ وَالْأَقْوَالِ الْحَسَنَةِ يَخْدَعُونَ قُلُوبَ السُّلَمَاءِ" (رو ١٦: ١٧، ١٨).

مسكين يا معلمنا بولس الرسول لأنك لم تتعلم وحدانية القلب التي للمحبة. لتأمل تعليم بولس الرسول لأنه يوضح لنا الحقائق التالية:

- هذا التعليم عن وحدانية تنوع العقيدة لن ينشئ وحدانية بل على العكس سينشئ الشقاكات والعثرات.
- هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح
- هؤلاء خداعين ومضلين
- يحب أن نعرض عنهم

ولكي نرد على هذه الهرطقات والبدع التي تسربت داخل كنيستنا دعنا نتساءل:

أولاً هل يمكن أن تقوم الحياة الروحية بدون العقيدة الدينية؟

تنادي هذه الهرطقة بأن كل شخص من أي طائفة يتحد مع الله وفي الله سنتحد كلنا معنا. فهل يمكن أن أتحد مع الله ويكون لي حياة روحية حقيقية بينما عقيدتي الدينية خطأ ولا أعرف الحق الذي سيحررني (يو ٨: ٣٢). وهنا نقول أن كانت العقيدة سليمة فستكون الحياة الروحية سليمة وإن كانت العقيدة سقيمة فستكون الحياة الروحية سقيمة أيضاً.

يقول معلمنا بولس الرسول "حسب نعمة الله المعطاة لي كبناء حكيم قد وضعت اساسا و اخر يبني عليه ولكن فليُنظر كل واحد كيف يبني عليه فانه لا يستطيع احد ان يضع اساسا اخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح ولكن ان كان احد يبني على هذا الاساس ذهباً فضة حجارة كريمة خشباً عشباً قشاً فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لان اليوم سيبينه لانه بنار يستعلن و ستمتحن النار عمل كل واحد ما هو ان بقي عمل احد قد بناه عليه فسيأخذ اجرة" (١ كو ٣: ١٠-١٤).

إذن للديانة المسيحية أساس وهذا الأساس هو الأيمان بالسيد المسيح المسلم مرة للقديسين (يهوذا ٣)، وعلمنا ربنا يسوع المسيح أن المحبة هي حفظ الوصية "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ..... الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي.....إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا..... إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثَبْتُ فِي مَحَبَّتِهِ..... أَنْتُمْ أَجَبَائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ." (يو ١٤: ١٥، ٢١، ٢٣، يو ١٥: ١٠، ١٤)، والوصية تشمل العقيدة فلا حب حقيقي لله أو للأخر من خلال عقيدة خاطئة.

ويقول معلمنا ماريوحنا "وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقًّا فِي هَذَا قَدْ تَكَلَّمْتُ مَحَبَّةَ اللَّهِ. هَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا فِيهِ.... وَهَذِهِ هِيَ الْمُحَبَّةُ، أَنْ نَسْلُكَ بِحَسَبِ وَصَايَاهُ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ، كَمَا سَمِعْتُمْ مِنَ الْبَدْءِ أَنْ تَسْلُكُوا فِيهَا" (١ يو ٢: ٥، ٢ يو ٦).

نستطيع أن نقول هنا أنه يستحيل أن تكون هناك حياة روحية سليمة دون أساس من الإيمان السليم والعقيدة السليمة ويستحيل أن تكون فينا وحدانية القلب التي للمحبة دون حفظ وصايا الله والتي تشمل وصايا الإيمان والعقائدية.

ثانياً ما معنى واحدانية القلب التي للمحبة فلتتأصل فينا؟

لقد أوصانا الرب أن نحب الجميع حتى الأعداء أيضاً نحب المسيحيين وغير المسيحيين، نحب الملحدين وشهود يهوه والمورمون واليهود والبوذيين. نحب الجميع بلا تفریق فهل نحن في واحدانية حقيقية غير شكلية مع كل هؤلاء؟ لماذا نطبق وحدانية الحب على الثلاثة طوائف المسيحية فقط؟ هل نحن لا نحب الآخرين؟

ربما يقول البعض لأن هذه الطوائف الثلاثة تتحد في مبادئ المسيحية الأساسية مثل لاهوت السيد المسيح وعقيدة الصلب والقيامة، وهنا أتساءل وماذا عن باقي العقائد مثل الأسرار الكنسية ودور الأعمال والجهاد الروحي في

الخلاص... إلخ. هل هذه العقائد ضرورية ولازمة أم يمكن التغاضي عنها. هل تناول (يوحنا ٦) والمعمودية (يوحنا ٣، رومية ٦) والجهاد الروحي (يعقوب ٢) لازم لخلاص الإنسان أم لا؟

نصلي في القداس الإلهي "إجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً ونجد نصيباً وميراثاً مع كافة قديسيك"

إذن الوجدانية تتحقق من خلال تناولنا من وشركتنا في جسد السيد المسيح الواحد "كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد" (١ كو ١٠: ١٦-١٧) فكيف نتكلم عن وجدانية حقيقية وليست شكلية مع من لا يؤمنون بسر التناول؟

ثم ما هي المحبة؟ إن رأيت أخي الذي أحبه بالحق مريضاً مرضاً يؤدي به إلى الموت فهل المحبة أن أتركه كما هو أم أسعى لعلاجه وشفاءه. إن رأيت أخي الذي أحبه بالحق سائراً في طريق خطأ يبعده عن هدفه وخلص نفسه وأبديته، فهل المحبة أن أتركه سائراً في هذا الطريق الخطأ أم أسعى لقيادته للطريق السليم. ألم يحذرنا الكتاب أنه توجد طرق تبدو للإنسان أنها مستقيمة ولكن عاقبتها الموت (أمثال ١٦: ٢٥)، فهل المحبة هي أنني أرى أخي سائراً في هذه الطرق التي تبدو مستقيمة في عينيه وأقبله كما هو ولا أرشده ولا أقوده إلى طريق الحياة؟

مسكينة أيها المحبة، كثيرون يتحدثون بإسمك لكي يخدعوا البسطاء والسلماء ويقودونهم إلى الهلاك.

إذن نستطيع أن نقول إننا عندما نتكلم عن المحبة فنحن نتكلم عن محبة حقيقية غير شكلية للجميع سواء كانوا مسيحيين أم غير مسيحيين "هكذا أحب الله العالم" (يو ٣: ١٦) ولأننا نحبهم حب حقيقي غير شكلي، لا بد لنا من أن نقودهم في طريق الإيمان القويم والعقيدة السليمة، ولكن عندما نتكلم عن الوجدانية الحقيقية غير الشكلية فنحن نتكلم عن وجدانية الإيمان والعقيدة والمحبة في آنٍ واحد.

ثالثاً ما هي وجدانية التنوع التي تكلم عنها بولس الرسول في ١ كو ١٢؟

في ١ كورنثوس ١٢ لا يتحدث معلمنا بولس الرسول على تنوع العقيدة بل يتحدث على تنوع المواهب والخدم والأعمال ففي آية ١ يقول "وأما من جهة المواهب الروحية" وفي عدد ٤-٦ يقول "فأنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل" ولكن عندما تكلم عن العقيدة قال في عدد ١٣ "لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سقينا روحاً واحداً".

وفي أفسس ٤ الذي فيه تكلم أيضاً عن المواهب في عدد ١١ أكد على أهمية الإيمان الواحد حين قال "مجتهدين أن نحفظوا وجدانية الروح برباط السلام جسد واحد وروح واحد كما دعيتهم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة إله وأب واحد للكل" (أفسس ٤: ٣-٦).

وقال في عدد ١٢، ١٣ أن الله أعطى المواهب "لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتمي جميعنا إلى وجدانية الإيمان" أي أن المواهب المتعددة والمتنوعة أعطيت للكنيسة من أجل أن نصل جميعنا إلى الإيمان الواحد ووجدانية الإيمان فكيف ننادي بوجدانية حقيقية غير شكلية دون أن يكون لنا وجدانية الإيمان.

إنه من الخداع بمقدار أن نقول أن بولس الرسول تكلم عن وحدانية تنوع العقيدة ونشبه العقائد المختلفة بالأوتار المتنوعة في القيثارة الواحدة ونخلط بين تنوع المواهب واختلاف العقائد.

إن التنوع في الثالوث القدوس هو تنوع في الصفات الإقنومية فالآب والد للأبن وبنائى للروح القدس والأبن مولود من الآب والروح القدس منبثق من الآب. وهناك تنوع أيضاً في الوظائف فعلى سبيل المثال الأزمنة والأوقات جعلها الآب في سلطانه (أع ١: ٧)، والدينونة أعطيت للأبن لأن الآب لا يدين أحداً (يو ٥: ٢٢)، لذا من الخطأ الشديد تشبيه الطوائف الثلاثة التي يوجد بينها اختلافات عقائدية جوهرية بالثالوث القدوس ونقول كما أن الثالوث هو واحد هكذا الثلاثة طوائف هم واحد.

رابعاً كيف نكون خليفة جديدة في المسيح يسوع؟

لقد سئل أحد الآباء هل سيدخل البروتستانت السماء؟ فرد قائلاً بدون تردد "لن يدخل البروتستانت السماء" ثم صمت قليلاً وأردف قائلاً "ولا الكاثوليك" وصمت ثانية ثم قال "ولا الأرثوذكس" وبعدها قال "بل من هو خليفة جديدة في المسيح يسوع هو الذي سيرث السماء" وتم تفسير هذا الرد بأن أي شخص له هذه الخليفة الجديدة بغض النظر عن طائفته سيرث السماء.

ونتساءل ههنا كيف نكون خليفة جديدة في المسيح يسوع؟

يقول معلمنا بولس الرسول "إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة" (٢ كو ٥: ١٧)، فكيف نكون في السيد المسيح؟

أولاً لابد من الإيمان به "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣: ٣٦). فالإيمان بالسيد المسيح شرط أساسي لكي نكون هذه الخليفة الجديدة فيه. والإيمان هنا يعني قبول السيد المسيح كمخلص وفادي وأيضاً يعني العقيدة السليمة كما يعني أيضاً الثقة في الله.

ثانياً لابد من حياة التوبة والنقاوة واتباعها والإعتراف بالخطية لمغفرة الخطايا "لأنه أية خلطة للبر والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأي اتفاق للمسيح مع بليعال؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟" (٢ كو ٦: ١٤-١٦)، فكيف نتحد بالسيد المسيح ونكون فيه ونصير خليفة جديدة ونحن خطاة؟ لابد من مغفرة الخطية بالتوبة والإعتراف حتى يتم الإتحاد "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يو ١: ٩) ومن هنا لكي تتم المغفرة يجب التوبة عن الخطية والإعتراف بها أمام الله في حضرة وكلاءه الكهنة الذين نالوا سلطان مغفرة الخطايا على الأرض "ولما قال هذا نفخ وقال لهم 'إقبلوا الروح القدس من غقرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت'" (يو ٢٠: ٢٢، ٢٣).

ثالثاً المعمودية التي بها نتطهر أيضاً من خطايانا ونولد ميلاداً ثانياً من الروح القدس فنتقدس ونتحد بالسيد المسيح ونصير خليفة جديدة "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غل ٣: ٢٧) وأيضاً يشرح معلمنا بولس الرسول عمل المعمودية في التطهير قائلاً "لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (أف ٥: ٢٧)، وقد إختبر معلمنا بولس الرسول فاعلية المعمودية في التطهير وغسل الخطايا حين اعتمد وقال له حنانيا "والآن لماذا تتواني؟ قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب" (أع ٢٢: ١٦)، كما يؤكد هذا أيضاً معلمنا بطرس الرسول عن المعمودية حين قال "الذي

مثاله يخلصنا نحن الآن، أي المعمودية. لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح" (١ بط ٣: ٢١).

رابعاً مسحة الروح القدس التي تجدد الإنسان وتجعله خليفة جديدة هيكل الله "ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه - لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته - خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبته بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا حتى إذا تبررنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي ٣: ٤ - ٧). هذه المسحة ننالها عن طريق مسحة الميرون (١ يو ٢: ٢٠، ٢٧) ووضع اليد (أع ٨: ١٧)، والنفخة المقدسة (يو ٢٠: ٢٢) في سر الميرون المقدس.

خامساً تناول من الأسرار المقدسة كما قال السيد المسيح له المجد "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير لأن جسدي مأكول حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي. هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد" (يو ٦: ٥٣ - ٥٨) فلا ثبات في السيد المسيح بدون تناول ولا توجد خليفة جديدة بدون تناول.

سادساً السلوك بالروح كخليفة جديدة في المسيح يسوع "نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟ أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة؟" (رو ٦: ٣، ٤) وأيضاً "لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون ولكن إن كنتم بالروح تميتمون أعمال الجسد فستحيون لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٣، ١٤)، ويؤكد أيضاً أهمية السلوك بالروح قائلاً "اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد....ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح" (غل ٥: ١٦، ٢٤، ٢٥).

من هذا كله يتضح أنه لا بد من عقيدة سليمة وإيمان سليم وممارسة سليمة للأسرار الكنيسة وسلوك وجهاد روحي حتى نصير خليفة جديدة وارثين لملكوت السموات، فكيف لمن لا يؤمن بهذا كله يصير خليفة جديدة؟

خامساً من هم أولاد الله ومن هم أولاد إبليس؟

وبعد هذا كله نتساءل من هو ابن الله ومن هو ابن إبليس؟ يقول السيد المسيح "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ إِبْلِيسِ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَلِكَ كَانَ قَتَالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدَنِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمْتَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ" (يو ٨: ٤٤). إذن من ليس فيه الحق ويعلم بالكذب ويضل الناس هو ابن إبليس.

والآن عليك أن تختار إما أن تسلك في الحق وتثبت فيه وتشهد له فتصير خليفة جديدة وتكون ابناً لله وإما أن تتبع الكذب وتصدق الضلال وتحيا في خداع فتكون ابناً لإبليس.

إلهنا القدوس نتضرع ونطلب إليك أن تفتح عيون قلوبنا وتير إذهاننا لكي نعرف الحق فنتحرر ونكون أبناء لك، خليفة جديدة ثابتين فيك إلى الأبد. آمين.